

من صُور العطاء العِلْمِي للحضارة الإسلامية
إبداعات الطبيب ابن الجزار القيرواني في إعداد الوصفات العلاجية (ق 4هـ - 10م)

Models of Scientific presentation of Islamic Civilization
Ibn Al-Jazzar's creations in pharmaceutical industries (4TH/10^{AD}).

د. شُعيب خنوف

المركز الجامعي العقيد سي الحواس بركة - باتنة (الجزائر)

choayb.khenouf@cu-barika.dz

تاريخ القبول: 2024/01/05

تاريخ الإرسال: 2023/11/09

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى التعرف على إبداعات الطبيب أبي جعفر أحمد ابن الجزار القيرواني (القرن 4هـ/10م) في إعداد الوصفات العلاجية بواسطة الأعشاب الطبية والعطرية، والإفادة منها في التطب، في محاولة للتوصل إلى أوصاف وأنواع النباتات التي استخدمها ابن الجزار القيرواني في إعداد الوصفات العلاجية. فكيف تمت الإفادة منها وهل الدواء وجد فيها دون إعدادها؟ أم بطبخها وخلطها مع مواد إضافية أخرى؟

الكلمات المفتاحية: النباتات الطبية، ابن الجزار، الوصفات الدوائية، المغرب الإسلامي.

Abstract:

Ibn AL-Djazar is considered one of the most eminent scholars on the medical level. However, he has not been given enough attention by historians. Therefore, we have to dust these giant figures and explain their virtue in providing medical services to the community using plants and discovering their functions. It was based on the visual logic based on the accuracy of observation, inspection and follow-up, so it left us the legacy of civilization represented by the mobile medical school, which includes dozens of scientists and doctors, as well as many of his writings in this area, which benefited the Arab world very much.

keywords: Ibn AL-Djazar, plants medical, medical level, pharmaceutical industries.

مقدمة:

اهتم الطبيب ابن الجزار القيرواني بمعرفة النباتات وأنواعها وفوائدها واستعملها في إعدادها للكثير من الوصفات والخلطات العلاجية والعطرية، كما صنف - ابن الجزار - العديد من الكتب التي تناول في معظمها موضوع التطب من النباتات، ولعل من بين أهم هذه المصنفات نجد: كتاب (طب الفقراء والمساكين)، وكتاب (زاد المسافر وقوت الحاضر) في جزأيه، وكتاب (طب المشائخ وحفظ صحتهم)، وكتاب (فنون الطيب والعطر)، وغيرها من الكتب التي ناهزت الخمسين كتابا بين المطبوع والمفقود. والتي فيها سرد لمجموعة كبيرة من النباتات إلى جانب وصفاتها العلاجية بغرض التطب بها. والتي إذ جمعا من كتب الإغريق لاسيما ديقوريدس وجالينوس وغيرهما، فضلا عن التجارب السريرية الخاصة التي قام بها الطبيب أبي جعفر ابن الجزار.

وسأحاول في هذه المقالة، من جهة استعراض بعض الإسهامات الفكرية لأحد أطباء بلاد المغرب الإسلامي - ابن الجزار - في استخدام النباتات للأغراض العلاجية، ومن جهة أخرى تسليط الضوء على نماذج كثيرة من الوصفات الدوائية التي قام بها الطبيب ابن الجزار.

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية الدراسة من كونها تُعالج حقبة تاريخية، وتعرض قضية تهم الحياة الصحية بالمغرب الإسلامي في العصر الإسلامي الوسيط، وتحاول هذه الورقة أيضا تشخيص أهم الطرق والوصفات الدوائية التي اعتمدها الطبيب ابن الجزار في إعدادها للخلطات العلاجية.

إشكالية الدراسة:

تتلخص إشكالية الدراسة في الأسئلة الآتية:

- 1- ما هي أهم النباتات الطبية والعطرية التي عرفتها بلاد المغرب الإسلامي في زمن الطبيب أبي جعفر ابن الجزار القيرواني؟
- 2- ما هي أهم الخلطات العلاجية التي اعتمدها الطبيب ابن الجزار القيرواني؟
- 3- هل كان اعتماد ابن الجزار على النباتات منفردا أم أنه استعملها بإضافة بعض المعادن؟
- 4- ما هي أهم الأمراض والمشاكل الصحية التي واجهها الطبيب ابن الجزار في عصره؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

- 1- بيان دور النباتات الطبية والعطرية في القضاء على العديد من المشاكل الطبية في بلاد المغرب الإسلامي زمن الطبيب ابن الجزار
- 2- بيان أهم المصنفات الطبية للطبيب ابن الجزار القيرواني.
- 3- بيان أشهر الخلطات العلاجية بالأعشاب الطبية والعطرية في بلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط.
- 4- بيان أهم الأمراض والأوبئة التي وجدت في عصر ابن الجزار القيرواني (ق4هـ/10م).
- 5- بيان النتائج والعبر المستخلصة من هذه الدراسة للإستفادة منها في الواقع المعاصر.

منهجية الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة المنهج التاريخي والاستقرائي، من خلال استقراء الكتب والمراجع المتصلة بتاريخ الطب والنباتات العلاجية على وجه الخصوص.

حدود الدراسة:

تناولت الدراسة جهود الطبيب أبي جعفر ابن الجزار القيرواني في بلاد المغرب الإسلامي، خلال القرن 4هـ/10م، من حيث التحرية والتأليف والصناعة الدوائية.

1/ تعريف النباتات الطبية والعطرية:

1-1/ **تعريف النباتات الطبية:** هي كل النباتات التي لها خاصية علاجية أو وقائية خاصة بالنسبة لأمراض الإنسان والحيوان، وترجع هذه الخاصية لوجود بعض المواد الفعالة في كل أنسجتها أو جزء منها، وذات تأثير فيزيولوجي على الجسم⁽¹⁾.

1-2/ **تعريف النباتات العطرية:** هي كل النباتات التي لها خاصية الاحتواء على بعض الزيوت العطرية الطيارة في النبات كله أو جزء منه، قد تكون له فائدة طبية.

والنباتات العطرية تنتمي إلى مجال النباتات الطبية والمواد الخام الصناعية نباتية الأصل وهما مصدران لمواد طبيعية معقدة، مصممة لتوفير خصائص مذاقية خصوصية للأغذية⁽²⁾.

بناءً على ما سبق، يمكن القول بأن كل نبات عطري فهو طبي، وليس كل نبات طبي بالضرورة هو نبات عطري.

2/ نماذج من الوصفات الطبية والعلاجية عند الطبيب ابن الجزار:

اهتم ابن الجزار بوضع جملة من العلاجات التي امتاز بها عن غيره، واختص كل منها بعلاج عضو معين من الأعضاء، وقد قسم الأدوية إلى أصناف عدة منها على سبيل المثال:

• **المراهم:** والتي كانت تصنع من الشمع والزيوت النباتية بعد إضافة بعض المركبات، ومنها:

أ- **مرهم دقيق الترمس لعلاج القولنج** ويتكون من مقدار جزء من دقيق الترمس، وحب الرند، ويسحق مع مرارة البقر، تخلط هذه المكونات وتعجن وتوضع على الموضع⁽³⁾.

ب- **مرهم الخبيز البستاني لعلاج ورم الحمرة**، ويتكون من مقدار من الخبيز، يوضع على حرق النار، ويستعمل بطبخ الخبيز ودقه دقا ناعما إضافته على الأدوية السابقة بعد خلطه بالزيت⁽⁴⁾.

ج- **مرهم مرداسنج:** لعلاج اللقوباء والجرب من مكوناته: مقدار درهمين من القسط المر وأسفيداج، وصندل أبيض وورد عراقي مسحوق، وزراوند وكندس وكركم ومقدار ثلاثة دراهم من الشعير والدقيق الباقلاء، ومقدار عشرة دراهم من الميعة السائلة، تسحق جميع المكونات وتلت بخل مخمر، ويضاف إليها دانقين من كافور وخمسة دراهم من الشمع الأبيض، وعشرون درهما من دهن ورد عراقي، وتداق بالمكونات السابقة لتصبح مرهما، ويوضع على الموضع⁽⁵⁾.

د- **مرهم الاسفيداج:** لعلاج القروح المتولدة في الجسد من مكوناته: مقدار خمسة مثاقيل من الكركم، وأسفيداج، والمرتك والسيلقون واقليميا الفضة، والخل، وبياض البيض وعشرة مثاقيل من عصير البزر قطونا، تسحق جميع المكونات مدة ساعة ويضاف إليها دهن الورد بعد سحقه لساعة لتصبح مرهما، ويوضع على الموضع⁽⁶⁾.

● **الضمادات:** وتتكون من خلط بعض المواد مع بعضها بسائل مائع مثل الماء أو العسل أو الدهن، ومن أمثلة ذلك:

أ- **ضماد طبيخ الإجماص أو الزعرور أو الريحان:** والذي يفيد في علاج اشتعال المعدة ويقطع العطش، وأما عن استخدامه، فيُخلط ماء طبيخ أحد المكونات السابقة مع مقدار من دقيق الخشكار ويجعل في برمة، وتطبخ يسيرا حتى تصبح ضمادا، وتلزم فم المعدة⁽⁷⁾.

ب- **ضماد لعلاج الدود في البطن والحيات:** وتحضيره ان يؤخذ دقيق الشعير، ويجعل في برمة ويضاف إليه الثرمس المدقوق أو الشيح أو الأفستين، يضاف إليها الخل الحاذق وتطبخ جميع المكونات طبخا ناعما وتوضع فوق الأدوية وتخلط معا وتستعمل فوق السرة⁽⁸⁾.

ج- **ضماد لعلاج أورام الاستسقاء:** وتحضيره أن يؤخذ التين اليابس، ويطبخ بإنعام ويضاف إليه ورق العرعار، ويخلط جميع المكونات طبخا ناعما حتى تصبح ضمادا وتستعمل فوق البطن مما يلي الكبد⁽⁹⁾.

د- **ضماد لعلاج لوجع الطحال:** وتحضيره أن يؤخذ دقيق الشعير، ويجعل معه عروق الكُبار ويضاف إليه السكنجيين، وتطبخ جميع المكونات طبخا ناعما ومعا وتلزم الطحال⁽¹⁰⁾.

هـ- **ضماد لعلاج الأورام الحادة:** وتحضيره أن يؤخذ القرع، ويطبخ بماء ويدق دقا ناعما ويضاف إليه دهن الورد، ويوضع على الورم اللهب فيسكن حرقته⁽¹¹⁾.

● **الطلاءات:** وتتكون من إضافة الماء إلى بعض المواد فيتكون لنا خليط سائل تقريبا يفيد في معالجة العديد من الأمراض، ومن أمثلة ذلك:

أ- **طلاء في علاج ضروب الاختلاف أو جري البطن:** ويتكون من خلط بعض المواد مثل دقيق الشعير، والعوسج، وقشور الرمان، وتخلط جميع المكونات، ومن ثم يطلى بها البطن⁽¹²⁾.

ب- **طلاء لعلاج حرق النار:** ويتكون عن طريق أخذ شيء من خرو الحمام ثم يشد بخرقه كتان ويحرق ويصير رمادا، ويخلط بزيت، ويطللى به الموضع فإنه "عجيب النفع"⁽¹³⁾.

ج- طلاء لمعالجة البهق والبرص: ويتكون من الكبريت الأصفر، ونظرون أحمر وتخلط بزيت وخل وتسخن في الشمس، ويطلّى بها الموضوع⁽¹⁴⁾.

● **الأدهان:** وتتكون من الزيوت التي تستخرج من الأدوية المفردة أو المركبة لمعالجة العديد من الأمراض، ومن الأدهان نجد:

أ- دهن النوى: ويستخدم للوقاية من أوجاع المعدة، كما أنه ينفع من الشقاق، ويتكون من دهن نوى الخوخ أو دهن نوى المشماش أو بدهن البيض⁽¹⁵⁾.

ب- دهن لمعالجة تناثر الشعر: ويتكون من اللادن والأفستين ومن نوى التمر المحرق، ثم تجعل في خرقة كتان ويترك جميع المكونات في قارورة فيها زيت وتترك أياما ثم يدهن بها الرأس⁽¹⁶⁾.

● **اللطوخت:** والتي يتم تحضيرها عن طريق خلط بعض النباتات للحصول على مزيج كريمي يفيد في العلاجات الجلدية الخارجية، ومن الأمثلة على ذلك:

أ- لطوخ لمعالجة القولنج: وتتكون من خلط الفيغن المسحوق مع العسل حتى يصبح كالخم، وتلطخ به المعدة من الخارج، لأنه يخرج الريح⁽¹⁷⁾.

ب- لطوخ لداء الشعب لعلاج تساقط الشعر: ويتكون من تركيب مثقالين من المواد التالية: الألو فريون والثافيسيا ودهن الغار، ومثقال من الكبريت، والخريق الأبيض أو الأسود، تدق هذه المواد وتنخل وتخلط بدهن الغار أو دهن الخروع أو بالزيت العتيق⁽¹⁸⁾.

● **الذوررات:** والتي يستفاد منها في إيقاف الجروح والقروح وغيرها، وتكون ذات قوام ناعم أشبه بالدهن، وتنتج عن طريق أخذ بعض المواد وتخفيفها ومن ثم طحنها، ولذلك أنواع عديدة منها:

أ- ذورر بعد الجراح: وينتج عن طريق خلط جزء من الأسفيداج والمرادسانج، ونصف الجزء من خبث المر والعفص⁽¹⁹⁾.

ب- ذورر يطيب رائحة البدن: ويتكون من أخذ عشر مثقال من المواد التالية: سعد وساذج والميعة الشامية، وأطراف الآس والساذج بشراب ريحاني، ويجفف ويسحق ثم

يطرح عليها الورد وأطراف الآس مسحوقين ويداف بالزعفران وماء الورد ويخلط بالأدوية السابقة، ومن ثم يسحق وينثر على البدن بعد الاستحمام مباشرة، وهذا سيكون أثره في تنشيف العرق من البدن⁽²⁰⁾.

• غسولات مفيدة في معالجة الآفات والأمراض التي تصيب الرأس:

أ- غسول الحزاز: وينتج عن طريق خلط ماء السلق بماء الحلبة، وبحب البطيخ وبدقيق مطبوخ في الزيت وبلعاب السفرجل والحمص والترمس والباقلاء وغيرها من المواد، وتوضع فيما بعد على فروة الرأس⁽²¹⁾.

ب- غسول لعلاج تطيب العرق: ويتكون من الورد الذي لم يتعرض لنداوة، ويترك حتى يضمّر، ويؤخذ منه أربعون مثقال، ومن سنبل الطيب خمس مثاقيل، ومن ثم المرست ثلاثة مثاقيل ويخلط الكل مع بعض وتوضع على مواضع التعرق في جسم الإنسان⁽²²⁾.

خاتمة:

يُعتبر ابن الجزار من الأعلام البارزين في المجال الطبي، نشأ في القيروان في بلاد المغرب الإسلامي، ولمع نجمه، وذاعت شهرته، بفضل ممارسته لمهنة الطب، وقد أبان عن قدرات فائقة في توظيف النباتات لأغراض علاجية وذلك من خلال إعداد الأدهان والمرامم والخلطات والطلاءات والذرورات والغسولات مستندا في ذلك على المبدأ العلمي المبني على التجربة والملاحظة والمتابعة، لاسيما في مصنفااته الطبية، حيث خلف لنا تراثا فكريا وحضاريا تمثل في مدرسة طبية فيروانية ضمت العشرات من الكتب والمصنفات التي أفاد منها العالم الإسلامي عموما، والعالم الغربي على حد سواء.

وسوف تزداد الصورة الحقيقية لإنتاج الطبيب ابن الجزار وضوحا وجلالاً عندما تبوح الخزائن العامة والخاصة عن أسرارها وما تخفيه من مصنفات وتواليف كثيرة في ميادين شتى وتترجم وتحقق عندئذ نجد أنفسنا أمام تراث ضخم ونذكر حينها أننا لم نقدم إلا النزر اليسير عن جهود الطبيب أبي جعفر ابن الجزار في مجال الصناعة الصيدلانية.

الهوامش والإحالات

- 1- عائشة بلامة مرزاية: طرق زراعة واستغلال النباتات الطبية والعطرية بواحات عين صالح في الجنوب الجزائري، مجلة الباحث، د.ت، ص: 287. عبدالله محمد الشريف: أساسيات البساتين الحديثة ط1، منشورات جامعة عمر المختار، ليبيا، 1995، ص: 35.
- 2- عائشة بلامة: المرجع نفسه، ص: 287.
- 3- ابن الجزار أبو جعفر (ت368هـ): كتاب طب الفقراء والمساكين تونس، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، 2009، ص181.
- 4- ابن الجزار: المصدر نفسه، ص229.
- 5- ابن الجزار: ص243.
- 6- ابن الجزار: زاد المسافر وقوت الحاضر، تح. محمد سويسي وآخرون، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، 1999، مج 2، ص ص665-666). كما أشار الطبيب ابن الجزار القيرواني في مقدمة كتابه "زاد المسافر وقوت الحاضر"، إلى أهمية هذا الكتاب بقوله: "فالفت آدم الله لنا سلامتك، كتابا جمعنا فيه عيون مآذركه أفاضل الأطباء من مكنون علمهم وصحيح تجربتهم ومحصر سرهم في طريق مداواة الأدواء التي تعرض في أعضاء الجسد عضوا عضوا من أعلى الرأس إلى القدمين، وسلكت في تأليفه وجمعه مسلكا بينا مختصرا واضحا مشروحا مفسرا لينظر فيه الراغب ويقتصر عليه الطالب، ويكون تذكرة للعالم الماهر، وزاد للمسافر إلى البلدان البعيدة التي لا يوجد بها طبيب". وأضاف بعدها قائلا: "ذكرت في كل باب منه - الكتاب - العلة التي يقصد إلى ذكرها ومداواتها، وأثبت حدها المبين عن طبيعتها ومكانها والسبب الفاعل لها والبرهان الدال عليها .. ثم قفوت ما ذكرت بوحدة العلاجات الجليلة التي تحيط بكل أجزاء المواد الدوائية على المنهاج الطبي والقانون الصناعي". أنظر: ابن الجزار: زاد المسافر، مج 1، ص: 54.
- ويُعد كتاب "قوت الحاضر" موسوعة طبية وصيدلانية نظرا لوفرة المادة التي أوردها وتحدث فيها عن الأمراض والأعراض والأدوية المركبة والنباتات واستخداماتها العلاجية. وهو مرتب حسب الأدوية والعلل ومقسم إلى مقالات وأبواب.
- 7- ابن الجزار: طب الفقراء، ص164.
- 8- ابن الجزار: المصدر نفسه، ص184.
- 9- ابن الجزار: المصدر نفسه، ص191.
- 10- ابن الجزار: المصدر نفسه، ص194.
- 11- ابن الجزار: المصدر نفسه، ص227.

- 12- ابن الجزار: المصدر نفسه، ص173.
- 13- ابن الجزار: المصدر نفسه، ص238.
- 14- ابن الجزار: المصدر نفسه، ص244.
- 15- ابن الجزار: المصدر نفسه، ص200.
- 16- ابن الجزار: زاد المسافر، مج1، ص73.
- 17- ابن الجزار: طب الفقراء، ص170.
- 18- ابن الجزار: زاد المسافر، مج1، ص69.
- 19- ابن الجزار: المصدر نفسه، ص238.
- 20- ابن الجزار: المصدر نفسه، ص87.
- 21- ابن الجزار: المصدر نفسه، ص147.
- 22- ابن الجزار: المصدر نفسه، ص150.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن الجزار، أبو جعفر: كتاب طب الفقراء والمساكين، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 2009.
- ابن الجزار، أبو جعفر: زاد المسافر وقوت الحاضر، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 1999.
- ابن الجزار، أبو جعفر: كتاب في طب المشائخ وحفظ صحتهم، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 2009.
- ابن الجزار، أبو جعفر: كتاب في فنون الطيب والعطر، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 2007.
- بلامة مرزاية، عائشة: طرق استغلال وزراعة النباتات الطبية والعطرية بواحات عين صالح بالجنوب الجزائري. مجلة الباحث، (ع1)، الجزائر، 2014.